الدين وأثره على السلوك الاقتصادي عند ماكس فيبر "قراءة سيسيولوجية للعقيدة البروتستانتيه نموذجا"

إعداد الطالب: محمد إبراهيم علم الاجتماع – كلية الآداب والعلوم الانسانية – جامعة دمشق
إشراف الدكتور: محمد أشرف غراف

ملخص الدراسة

تناولت الدراسة العالم الاجتماعي ماكس فيبر بالدراسة والتحليل ، وقد اتخذ البحث من النظرية الدينية–الإقتصادية لـ"فيبر"؛ العالم الذي تنوعت اهتماماته بين الاقتصاد والقانون وعلم الاجتماع.

هدفت الدراسة الى الوقوف على الإطار العام لأفكار بعض المفكرين وعلماء النفس والاجتماع، عن علم الإجتماع الديني وتأثير الدين في الحياة الإجتماعية والإقتصادية عامة، ومناقشة نظريةِ "فيبر" في علم الإجتماع الديني بالخصوص، والغوصِ وتحليل فكرته عن مدى تأثير العقائد البروستانتية على تَكوّنِ العادات الإجتماعية والإقتصادية التي تشجع الإنتاج. بالإضافة الى معرفة مدى قدرته على بلورة فكرة واضحة عن ذلك.

أستخدمت الدراسة المنهج التحليلي–النقدي والمنهج التاريخي، وذلك؛ بالرجوع الى مؤلفات "فيبر" عن علم الإجتماع الديني وفكره الإجتماعي–الإقتصادي، إضافةً الى بعض المؤلفات التي تناولت وناقشت مجال علم الإجتماع الديني وأفكار "فيبر" في هذا المجال. وأيضاً، تناول هذه الأفكار بتحليلها وتقديم الأفكار الناقدةِ لها، ومعرفة مدى صلاحيتها وقبولها للتعميم في سياقاتٍ مختلفةٍ.

توصلت الدراسة الى أنَّ هناك مصداقية لما قدمه "فيبر" نظراً لما أكده الواقع الأوربي آنذاك، غير أن الفترة التي كان يتكلم فيها "فيبر" كانت مترافقة بعدد من المتغيرات؛ من قبيل الثورات الصناعية والاجتماعية، وبذلك ليس من المنصف القول بأن العقائد الدينية، كانت السبب الوحيد لبزوغ الفكر الرأسمالي والإنتاج المكثف، بل كان هناك العديد من المتغيرات، التي يجب أخذها في الحسبان عند طرح موضوعٍ واسعٍ كالرأسماليةِ، رغم ذلك، فإن العادات، المعتقدات وطريقة الحياة يكون لها أثرٌ كبيرٌ في معالجة تصورات، ونظرات المعتقدين بها، عن كيفية إدارة وظائفهم ومهامهم، فعاليتهم، وأيضاً نجاحهم أو فشلهم بالمنظور الحديث.

الكلمات المفتاحية: دين، معتقدات، مذهب، بروستانت، سلوك إقتصادي.

Abstract

The study addresses and analyzes the sociologist Max Weber who had various interests in the fields of economics, law, and sociology, while it discusses Weber's religious-economic theory.

The study aims to identify the general framework of the ideas of some intellectuals, psychologists, and sociologists about the sociology of religion. Furthermore, the study discusses the impact of religion on social and economic life, in general, and the impact of Weber's theory in religious sociology, in particular. The study deeply discusses and analyses Weber's idea about the effect of Protestant beliefs on forming the social and economic habits that foster the production and knowing the extent of his ability to formulate a clear idea regarding this matter.

The study used analytical critical methodology and historical methodology, and this was done by reviewing Weber's books concerning religious sociology and his socio-economic ideas. Furthermore, the study reviewed literature that discussed the field of religious sociology and Weber's ideas regarding this field. The study analyses and criticizes these ideas and knowing their validity to be accepted and generalized in different contexts.

The study concludes that Weber's ideas are credible and the realistic views from Europe during that period affirmed this credibility. However, the period in which Max Weber's ideas evolved was accompanied by a number of variables; such as the industrial and social revolutions. Therefore, it is not fair to say that religious beliefs are the only reason for emerging capitalist thought and intensive production. There are many variables to be taken into consideration for tackling a broad topic such as capitalism. However, customs, beliefs, and ways of living have a significant impact in tackling the perceptions of religious believers, their views, ways of managing their jobs and tasks, their effectiveness, and their success or failure based on the modern perspective.

Keywords: Religion, beliefs, Doctrine, Protestant, Economic Behavior.

مقدمة

إنَّ الاختلاف في المقولات الدينية مع الحفاظ على وجود الدين والإيمان بالرب أدى إلى تغير في شكلِ الاقتصاد وأنماطه لصالح فئة البروتستانت بعكس الكاثوليكيين، بحيث أصبح البروتستانت متحكمينَ بالوظائف الإدرايةِ العليا وبرأس المال وأكثر قدرةً على الربح، في حين بقيت طبقاتُ الكاثوليك في وضع اقتصاديٍّ متوسط، ولم يكن لديها الدافع أو الطموح لتكون منافسة أو لتصارع من أجل صناعة رؤوس الأموال، ويعود ذلك إلى طريقة تربية كلٍ من عائلات المنتمين لكلتا العقيدتين، إذ سمحت البروتستانتية لأتباعها بتفسير النص بأكثر من إتجاه، فحررتهم من التقوقع وربطت العمل وجودته وإتقانه والانضباط في المواعيد بالمنفعة التي تعود بالرضى الإلهي، فخرجت هذه الفئة من التنسك والزهد، إلى الحياة العملية ورؤوس الأموال فكان لها الأثر في تطور الرأسمالية.

هكذا كانت رؤية "فيبر" تجاه التحول الإقتصادي الذي حصل للعقيدة البروستانتية، والتي رجَّحت كفّة التابعين لهذه العقيدة في ميدان العمل والإقتصاد، والميادين الإجتماعية كافّة؛ كالتواصل والإنفتاح، وتبني نظرة أنَّ الجدَّ في الحياة الدنيويةالمعيشية يكون لصالح رضى الرب وصلاح الناس.

تأتي هذه الدراسة لتخوض في الإضافات والأراء التي قدمها "فيبر" في مجال علم الإجتماع الديني، وكيفية تكون فكرته التي طرحها المذهبان الأساسيّان المتواجدان في حقبته آنذاك، وتتناول بعض مقولاته ونظرياته فيما يتعلق بعقيدة البروتستانت كعقيدة تعدُّ ثورية على الدين الكنسي التقليدي وتأثير ذلك على إزدهار الإقتصاد والعمل الجاد، وتَكوّنِ الأفكارالتوجهات الرأسمالية.

وتتطرق الدراسة في البداية، الى تفسيرات بعض الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع حول نشأة الأديان، وتركز على "فيبر" وإهتماماته البحثية ومدى تكون فكره الفلسفي الإجتماعي والإقتصادي، وتناقش نموذجَه في دراسته لعلم الاجتماع الديني. في استعراضٍ مقتضبٍ، لبعضِ ما جاء من استنتاجاته فيما يتعلق بالعقيدة الدينية، وأثرِها على الإقتصاد ورأس المال. وقدمت تحليلاتٍ لأفكاره ومدى صلاحيتها ومقبوليتها للمنظق البشري، والفائدة التي قدمتها للفكر البشري؛ الإجتماعي والإقتصاي على وجه الخصوص.

الجانب المنهجي للدراسة:

أولاً : مشكلة الدراسة وتساؤلاتها

إن ما تميز به "ماكس فيبر[1] ، Max Weber ،(1864-1920)" في دراسة الدين، هو أنه قام بإخضاع الظاهرة الدينية للدراسة والقياس كأي ظاهرةٍ مجتمعيةٍ أخرى، وتجاوز قضية ظهور الأديان وحاجة المجتمعات لها، إلى افتراض أن الدين ذو أثر فاعل في توجيه السلوك الاجتماعي. ليس الاجتماعي وحسب، ناهيك عن السلوك الاقتصادي وما يكون عليه شكل المجتمعات، فكان تساؤله يتمركز حول إذا ما كان هنالك اختلافاتٌ بين الدول والمجتمعات التي تبنت البروتستانتيه وبين نقيضاتها. إذ يفترض أن تقدم الدول التي تبنت مبادئ الحركة البروتستانتية اتصفت بروح الرأسمالية واستطاعت أن تتفوق اقتصاديا على نقيضتها ممن تتبع الكاثوليكية القديمة، فالحركة البروتستانتية بمختلف انتماءاتها ومسمياتها دعت إلى نظرة تنويرية في الدين المسيحي وأخرجت العقل من صندوق التعبد والرضى بكفاف اليوم، لتربط العمل بالعبادة وتضفي إليه قيمة دينية، وهذا الربط بافتراضه يرضي الرب وفيه منفعة للناس كان محرضاً، ووفق تصور" فيبر" على ازدياد الدافعية في العمل وازدياد الرغبة في جمع الثروة ومن هنا جاء الربط بين البروتستانتية وبين روح الرأسمالية ، وتحاول هذه الدراسة أن تلقي الضوء على ما جاء به " فيبر" من مقولات في هذا الإتجاه لا سيما أنه يعد من أوائل مؤسسي علم الاجتماع الديني .

بذلك ركزت هذه الدراسة على أهم اسهامات "ماكس فيبر" فيما يتعلق بعلم الاجتماع الديني الذي تطرق من خلاله إلى طبيعة العلاقة بين البروتستانتية والسلوك الاقتصادي، محاولاً الإجابة عن **التساؤلات الآتية :**

1- من هو ماكس فيبر وما هي أهم اهتماماته ودراساته البحثية؟

(1)- هو عالمٌ اجتماعيٌ وفيلسوفٌ ألمانيٌ،وأحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث ودراسة الإدارة العامة في مؤسسات الدولة، وهو من أتى بتعريف البيروقراطية. ويبقى عمله الأكثر شهرةً هو كتاب الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية حيث أنه يُعد أهم أعماله المؤسسة لعلم الاجتماع الديني، وأشار فيه إلى أن الدين هو عاملٌ غير حصري في تطور الثقافة في المجتمعات الغربية والشرقية. وفي عمله الشهير أيضًا "السياسة كمهنة" عرف الدولة: بأنها الكيان الذي يحتكر الاستعمال الشرعي للقوة الطبيعية، وأصبح هذا التعريف محورياً في دراسة علم السياسة.

2- ما هي إسهامات ماكس فيبر في حقل علم الاجتماع الديني" السيسولوجية الدينية"؟

3- كيف درس طبيعة العلاقة بين الظاهرة الدينية والسلوك الاقتصادي؟

أ- أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى التعرف على:

1- الوقوف على الإطار العام لفلسفة فيبر فيما يتعلق بعلم الإجتماع الديني.

2- التعرف على ماكس فيبر كرائد في حقل علم الاجتماع الديني وأهم اسهاماته فيها.

3- التعرف على أثر العلاقة بين العقيدة البروتستانتية والسلوك الاقتصادي من وجهة نظر فيبر.

ثانياً: أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من أهميته السيسولوجيه-الدينية إذ لم يزل هذا الحقل يعاني من ندرةِ الدراسات فيه خاصة في وطننا العربي، فثمة معيقاتٌ تحول دون وضع الظاهرة الدينية قيد الدراسة العلمية، أو دراسة الظاهرة الاجتماعية بردها إلى أصولها الدينية، وتسليط الضوء على نموذج ديني غربي وممارساته، ومالذي جعل "فيبر" يركز على هذه الثقافة دون غيرها وربطه بالعلاقات السوسيو-إقتصادية. قد يكون هذا البحث إسهاماً متواضعاً في هذا الجانبِ، وإسهاماً متواضعاً يلقي الضوء على أهم علماءِ الاجتماع الديني في أوروبا.

ثالثاً: مفاهيم الدراسة ومصطلحاتها:

1- الدين:

نظام اجتماعي-ثقافي من السلوكيات والممارسات المعينة، والأخلاق، والنظرات العالمية، والنصوص، والأماكن المقدسة، أو النبوات، أو المنظمات، التي تربط الإنسانية بالعناصر الخارقة للطبيعة، أو المتعالية، أو الروحانية. ومع ذلك، لا يوجد إجماع علمي حول التعريف الدقيق للدين.[1]

2- السلوك الإقتصادي :

([1])- Morreall, John; Sonn, Tamara, "**Myth 1: All Societies Have Religions**". **50 Great Myths of Religion.** Wiley-Blackwell. 2014، Pp. 12–17,

دراسة تأثيرات العوامل الإجتماعية، النفسية، الإدراكية، والعاطفية على قرارات الأفراد والجماعات وكيف تختلف هذه القرارات بحسب إختلاف هذه العوامل. بذلك فإنَّ السلوك الإقتصاديّ ينعكس عن قناعاتٍ واعتقاداتٍ نشأ عليها الناس، وبناء عليها تتكون قرراتهم وتصوراتهم فيما يخص الحياة الإقتصادية والإجتماعية.[1]

3- العقيدة البروستانتية:

هي أحدُ مذاهب وأشكال الإيمان في الدين المسيحي. تعود أصول هذا المذهب إلى الحركة الإصلاحية التي قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية. أبرز مقومات فكر البروتستانت؛ غفران الخطايا هو هديّة مجانيّة ونعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح مخلصًا، وبالتالي ليس من شروط نيل الغفران القيام بأي عمل تكفيري أو صالح.[2]

4- العقيدة الكاثوليكية.

تعدُّ الكاثوليكية أكبر طوائف الدين المسيحية. يقع مركزها الروحيّ في مدينة الفاتيكان، مقر بابا الكاثوليك، يتواجد أتباعها في كثير من دول العالم وخاصّة في جنوب أوروبا وأمريكا اللاتينية.

التعاليم الجوهرية للكنيسة الكاثوليكية هي: حقيقة وجود الله، اهتمام الله بالكائن البشري الذي يستطيع بدوره الدخول في علاقة مع الله (عن طريق الصلاة)، الثالوث، لاهوت يسوع المسيح، خلود أرواح جميع البشر، كل إنسان مسؤول عن أعماله الخاصة وسيكافئ عنها بعد موته بالملكوت أو الجحيم، قيامة الموتى، تاريخية الإنجيل والتكليف الإلهي للكنيسة. وتنفرد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية بعقائد خاصة كالمطهر والعصمة البابوية والحبل بلا دنس وغيرها.[3]

([1])- Lin, Tom C. W. "**A Behavioral Framework for Securities Risk**". Seattle University Law Review, 2012, Pp 14

([2])- Dixon, C. Scott . Protestants: **A History from Wittenberg to Pennsylvania 1517–1740.** John Wiley & Sons. 2010, Pp28

([3])- Marshall, Thomas William. **Notes of the Episcopal Polity of the Holy Catholic Church.** London: Levey, Rossen and Franklin.1844 , Pp 21–23.

رابعاً: منهج البحث:

تم استخدام المنهج التحليلي النقدي والمنهج التاريخي في هذه الدراسة من خلال أدوات التحليل والوصف الناقد، وذلك للوصول إلى تصورات وتحليلات دقيقة لأفكار "فيبر".

وستكون مادة الدراسة الأساسية بعض أعمال "فيبر" المتلعقة بعلم الإجتماع الديني وبالأخص مؤلفه "الأخلاق البروستانتية وروح الرأسمالية"، إضافة إلى أعمال أخرى تم فيها مناقشة مسألة الدين في الثقافة الإجتماعية أو آراء فيبر عن الدين وأثره على السلوك الاجتماعي والإقتصادي.

خامساً: دراسات سابقة:

1- دراسة شتاتحة أم الخير، 2017، الجزائر، بعنوان:

"الظاهرة الدينية بين المقاربات الكلاسيكية والمعاصرة" دراسة إجتماعية.

حاولت الدراسة التطرق للتساؤلات المتعلقة بعلم الإجتماع الديني، والهوية الدينية في إطار الحداثة، وذلك من خلال مسألة الافراط، التعددية، واعادة تشكيل الذاكرة في المجتمع الحديث. من خلال الغوص في تحليلات كل من اليكسي دو توكفيل في خصائص الدين المجتمعات الديمقراطية، الأصل الديني للحداثة الغربية في تحليلات ماكس فيبر، وأفكار عدد من المفكرين الآخرين أمثال ماركس، أيميل دوركهايم،

أهم الإستنتاجات التي توصل اليها البحث بخصوص أفكار فيبر:

i. كان الدين بحسب توكفيل مساعداً للحرية لا مناقضاً لها، كما هو الحال في أوروبا، حيث كان الدين رفيق درب للحرية(بحسب الباحثة)، وإذا كانت الحرية تخول المرء أن يفعل مايريد، فإن الدين يحافظ على الرابطة الأخلاقية، ويمنع الفرد من أن يتجرأ على القيام بأي شيء.
ii. الحالة الفكرية للبروستانتية شجعت التراكم الرأسمالي، ودفعت تطور الاقتصاد المنهجي قدما في الواقع. حيث أن البروتستانتية تتسم بأخلاق و قيم ومعتقدات تشجع على العمل والادخار والاستثمار، فضلا عن تقديس هذه الطائفة للعمل واحترام المهن وإتقان الحرف والاهتمام بالمهنة.

iii. إنَّ فيبر يظهر بحزم وزن العوامل الثقافية والدينية بشكل خاص في انبثاق نوع معين من السلوك الاقتصادي من دون إنكار أهمية العوامل المادية. [1]

2- دراسة جيلس كاربونير Gilles Carbonnier، جينيف، 2013، بعنوان:

الدين والتنمية: إعادة النظر في العلمانية كمعيار، بحث منشور في مجلة سياسة التنمية الدولية *International Development Policy*

"Religion and Development : Reconsidering Secularism as the Norm"

حاولت الدراسة البحث في مسألة الجدل القائم على أساس العلاقة بين الدين والعلمانية، والدولة وآلية التنمية، وهل الدين يمثل أحد عوائق التنمية ويمثل عقبة في وجه التقدم؟ أم أنه كان مساعداً في تقدم التنمية، توصلت الدراسة الى الإستنتاجات التالية:

i. لقد أثبت الدين مقاومة منقطعة النظير، مثلما يشهد على ذلك تجدد الحماسة الدينية على مستوى العالم، سواء في العالم الإسلامي والأمريكيتين وأفريقيا أو في أوروبا الشرقية. وفي البلدان الصناعية نفسها، فإن الكثيرين من أصحاب القرار والشخصيات العامة لا يتوانون عن دحض بعض الأدلة العلمية، أنهم يتخذون قرارات على أساس المعتقدات أو الأيديولوجيات أكثر من اتخاذها على أساس تحليلات دقيقة للوقائع.
ii. تتناقض اللامبالاةُ ازاء الدين والإيمان في دراسات وسياسات التنمية بشكل لافت مع الدور المركزي للدين في الحياة اليومية للأفراد والجماعات وبخاصة في البلدان النامية، حيث يوسّع التعاون الدولي للتنمية من أنشطته.
iii. يجب تحاشي التعميمات بعناية، عندما نعالج مفاهيم واسعة ومتنافرة إلى هذا الحد، كما هو حال التنظيمات الدينية والفاعلين الدينيين.
iv. يجب للإلمام بطاقة الدين في الصراع ضد الفقر، وإتلاف البيئة، وتقييم مدى وحدود المنظمات الدينية كونها "محرّكات للتغيير"، والحيلولة دون الوقوع في الأخطار التي ترتبط

([1]) أم الخير، شتاتحة، 2017 ، **الظاهرة الدينية بين المقاربات الكلاسيكية والمعاصرة، دراسة إجتماعية**، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الخامس، ص 236.

بتجنيد الدين وتوظيف الإيمان في غايات خاصة، سواء في الخطابات المهيمنة للتنمية أو بالتعارض مع هذه الأخيرة. (1)

التعقيب على الدرسات السابقة

تتناول الدراسات السابقة مواضيع الدين في مقاربات إجتماعية، وأنعكاسه على القرار ومدى مساهمته في في القرار وصنع التنمية، بينما سوف يناقش هذا البحث كمكملٍ لهذه الدراسات موضوع الدين وتفاعله في صنع التصورات والسلوكيات الإجتماعية والثقافية العامة للأشخاص الذين يدينون به من وجهة نظر فيبر، في دراسة تحليلة لمدى قدرته على تقديم فكرته بأنها ملائمة للواقع وتعكس ماهو فعلي حقاً.

الجانب النظري للدراسة

أولا: السيسولوجيا الدينية بين النشأةِ والتكوينِ

يعدُّ علم الاجتماع الدينيّ"سيسيولوجيا الدين" من حقول علم الاجتماع، وقد ارتبطَ بكلٍ من "اوغست كونت"، و" دوركايم"، و"فيبر" ، والمدرسة الجدلية الماركسية، وقد تناولت نظرياتُ أو مقولاتُ علم الاجتماعي الديني في بداية نشأتها فرضياتٍ لم يتم اختبار أغلبها، إذ بقيت مثار جدلٍ، ورغم تطور حقول المعرفة في علم الاجتماع، إلا أنه في عالمنا يعاني من شح وعدم اهتمام، نظراً لعدم وجود منهجيةٍ واضحةٍ وأسسٍ علميةٍ في إخضاع الظاهرة الدينية للدراسة الاجتماعية العلمية دونما محددات، بعكس الغرب، بحيث تخضع الظاهرة الدينية حديثا للدراسة مثلها مثل أيَّة ظاهرةٍ اجتماعيةٍ.

أسهم ظهور علم الاجتماع الديني في تغيير النظرة للأديان، بافتراضها المقدس الذي لا يؤدي وظيفة سوى وظيفة التطهير، أو اصبحت الظاهرة الدينية "توضع في مرجعها الاجتماعي، فتعرف به، لا بسواه، ولذا، يختلف علم الاجتماعِ الدينيّ اختلافاً كلياً عن علم فقه الأديان، الذي

(1)- Carbonnier, Gilles, **Religion and Development: Reconsidering Secularism as the Norm**, international development policy, 2013, Pp 74.

يسعى إلى تفسير الحوادث الاجتماعية من خارجها معتمداً على النصوص والأفكار الغيبية، التي قد لا يكون لها صلة واقعية بما يحدث".[1]

فالضبط الاجتماعي من جانب، ومن جانب آخر تجريده من معناه المقدس الذي يمنع الاقتراب منه إلى المعنى الواقعيّ، فيمنح الباحث فرصة في تفسير بعض الظواهر والسلوكيات الاجتماعية بإرجاعها إلى تأثير الديني، كما تمنحه أيضا إخضاع مضامين المقولات الدينية التي تؤثر في سلوك الجماعة إلى الدراسة والتحليل، رغم ما يفرضه ذلك من قيود على الباحث، ورغم ما يتسبب به من معيقات، لأن المعتقد الديني في مختلف الديانات، حقائق غير قابلة للإخضاع إلى المنطق العلمي. وهنا يبدو الاختلاف بين ما هو اعتقادي ديني مبني على أساس التسليم بالحقيقة وبين ما هو افتراضي قابل للدراسة والبحث والخروج بنتائج ربما تكون مغايرة لما هو متعارف ومتفق عليه.

ثانيا: أهم النظريات الفلسفية والعلمية المفسرة للأديان

1- حاول "تايلور"Edward Tylor 1832-1917 تفسير في نظريته حول الدين "الأرواحية أو حيوية المادة" animism "، بحيث حاول فيها تفسير ظهور الأديان أو الاعتقاد بها، اعتماداً على اعتقاده بأن الإنسان في أحلامه وفي بدايات تعرفه على الحياة من حوله، يكون مثل الطفل لا يفقه شيئاً، ونظراً لاستغراقه في الاحلامِ ومحاولته فهم عودة الأموات في الحلم، ورؤية ذاته بأشكالٍ أخرى في المنام، فإنه اعتقد بوجود النفس، ووجود الميت في عالم آخر، ثم اعتقد أن روحه توجد في الاشجار وفي الهواء وفي الطبيعة بعد موته، حتى أوصلته هذه الاعتقادات إلى مخاوفَ أدت به إلى الاعتقاد بوجود عالم آخر يخافه ويخشى منه ويتقرب إليه بالتعبد والطقوس، إلا أن هذه النظرية كانت قد تعرضت الى انتقادات عديدة نظرا لسطحيتها. [2]

([1])-شلحت، يوسف، **نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني**، دار الفارابي، بيروت، 2003، ص 28

(2) Tambiah, Stanley, **In Magic, Science, Religion, and the Scoop of Rationality**, Re--print-- ed. Cambridge University Press, 1990, Pp 51-52.

وكان"دوركايم [1] David Emile Dorkheim، 1858–1917 " أبرز من انتقدها، فقد تعرض إليها بالنقد قائلا: "كيف نسلم أنَّ الطفل بسبب أحلامه يشكل فكرته عن العالم الآخر وفي حقيقة الأمر إنّ الطفل ينسى ما يراه في المنام أما الراشد فلا تترك في نفسه أثرا".[2]

2- النظرية الطبيعية عند "ميلر [3] Fridricke Max Muller ، 1823–1900" يرى فيها أنَّ الإنسان ميّال بطبعه للغيبي، وأنَّ حواس الإنسان تقوده نحو المحاولة للتعرف على غير المرئي، وعالم اللانهاية وما بعد النهاية وما ورائها وما فوقها، وأنه قبل وجود الأديان كانت الناس تعبد اللانهاية، وكانت صور هذه العبادة تتمثل بعبادة الشمس أو النهر، أو البرق، وتوهموا أنَّ الظواهر الطبيعية هي ذاتها الآلهة.

3- نظرية "نيتشة[4]، Fridrich Nietzeche، 1844–1900" يزعم" نيتشه" أن وسواس الإنسان وتعطشه للسعادة هو ما دفعه لإيجاد الدين، ففي كتابه "هكذا تكلم زرادشت" كان يرى أنَّ الآلهة مخلوقة بسبب ضعف الإنسان وحاجته لقوة غيبية، وبسبب حاجته للراحة والسعادة وضعفه وعجزه عن إيجادهما.

([1])- دوركهايم؛ فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث، وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتجريب في آن معا. أبرز آثاره «في تقسيم العمل الاجتماعي» (عام 1893)، و«قواعد المنهج السوسيولوجي» (عام 1895). أسس رسميًا الانضباط الأكاديمي لعلم الاجتماع –مع دو بويز وكارل ماركس وماكس فيبر. يُستشهد به عادة باعتباره المؤسس الرئيسي للعلوم الاجتماعية الحديثة.

([2])- شلحت، يوسف، **المرجع السابق**، ص 94

([3]) ميلر؛ كان مستشرق بريطاني وعالم لغوي. ألماني المولد. صنّف الأساطير وفقاً للغرض الذي هدفت إليه، ودرس الأديان دراسة مقارنة. اهتم بصفة خاصة باللغة السنسكريتية الهندية القديمة. أسهم في الدراسة المقارنة بمجالات اللغة والدين وعلم الأساطير على الرغم من أن علماء العصر الحديث قد نبذوا الكثير من نظرياته. من أشهر أعماله: "محاضرات في علم اللغة" (1861 – 1863)، و"المدخل إلى علم الدين" (1873)

([4])- نيتشة؛ فيلسوف ألماني، ناقد ثقافي، شاعر وملحن ولغوي وباحث في اللاتينية واليونانية. كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية وتاريخ الفكر الحديث

وقد تناول علماء الاجتماع الطوطمية بالتفسير، ويقصد بها تقسيم الأشياء إلى محللة وأخرى محرمة، وهي ديانة قديمة أقرَّ بها علماءُ الاجتماع مثل "دوركايم" وفي العادة الطوطم حيوان يؤكل لحمه ، مسالمٌ، أو خطرٌ، وفي النادرِ شجرة أو قوة طبيعية كالماء، ذو علاقة خاصة مع جميع أفراد العشيرة، وهو الروح الحامية لها، والمعين، الذي يرسل لها الوحي ولذا يخضعون له بمثابة رادع، ويتوجب عليهم عدم قتل طوطمهم او تدميره.[1]

يقر"دوركهايم" بأن الطوطمية تعد أقدم ديانة من حيث النشأة لأنها رابطة تضم جميع أفراد القبيلة، وتعمل على خلق نظام اجتماعي، فهو يعتقد بأن الكون في نظر الإنسان في المجتمعات البدائية مسير بمجموعات من القوى قد تظهر بأشكال حيوانية أو ظواهر طبيعية، فأصحاب الطوطم لا يعبدون الطوطم وأنما القوةَ الكامنةَ فيه، فـ"دوركايم" لا يرى أن الأديان وليدة الأحلام بل لها ما يفسرها في العالم الواقعي.[2]

وكانت أهم نظريّة حول علم الاجتماع الديني هي التي أتى بها ماكس فيبر حيث ربط ظهور الرأسمالية بالديانة البروتستنية.

ثالثا : التعريف ب"ماكس فيبر" واهتماماته البحثية:

يعد "ماكس فيبر Max Weber ، (1864-1920)" من مؤسسسي علم الاجتماع، اهتم بدراسة الاقتصاد والقانون لكنه تحول إلى علم الاجتماع ، ومن أهم مؤلفاته "الأخلاق والمجتمع و"الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية " وقد اشتهر بدراسته للأديان، وأثرها في تطور المجتمعات. إذ كان يرى أن الدين وعقلنة الدين، تؤثر في النمط الاقتصادي للمجتمع.

وقد اهتم بصورة الزعيم الديني والكاريزما التي يتمتع بها، وتأثيرها في تغيير ثقافة المجتمع الاقتصادية في لحظة ما" وتبعا لذلك فالنبي هو الذي يأتي بجديد مقابلالدين السائد في مجتمعه،

() 1سيجموند فرويد، **الطوطم والتابو**،ترجمة بو علي يسين، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1983، ص 29

(2)- دروكهايم، إميل، **الاشكال الأولية للحياة الدينية : المنظومة الطوطمية في أستراليا**، تر: رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة،2019، ص 57.

ويصدح بخطاب وقول جديدين عن الله، وعن العلاقة بين الله والبشر، ويُحدِث على أثره نظاماً مستحدثاً، ونسقاً مغايراً من القيم. [1]

كان "فيبر" أول من درس تأثير الدين في الاقتصاد، من خلال دراسته للكالفينية [2] والبروتستنتية وتأثيرهما على خلق الرأسمالية، إذ افترض أن ربط العمل بقيمة دينية عمل على تحفيز البروتستانت للانتاج والنزعة نحو الرأسمالية، فالنص الديني قبل الحركة البروتستنتية وقبل تفسير النص الديني بشكل مغايرٍ لما كان عليه، حيث كان يدعو الناس للتواكل والاعتماد على الغيبيات، ويريهم أن الأرزاق مقسومةٌ مسبقاً، وكان رجال الدين آنذاك يعززون هذا التوجه للحفاظ على تكدس الأموال في أيدي حفنة قليلة من المتحكمين، لم يكن فيبر ذي نزعة تمردية جدلية كتلك التي كانت لدى "ماركس" في نظريته حول رأس المال والرأسماليين، بل إنَّ إسهامه الحقيقيّ كان في إخضاعه الظاهرة الاجتماعية الاقتصادية للدراسة الفعلية، وربطها بمسبباتها الواقعية، وفي إخضاعه الدين وما يتركه من قيم محفزة للدراسة والبحث، وقد خلُصَ إلى أن قوة المجتمعات تأتي من قوة تأثير قيمها وأعرافها، خاصة تلك التي تأتي من الدين ونصوصه الملزمة " فتشير القوة عند "فيبر" الى "فرص" الانسان أو عدد من الناس لتحقيق إرادتهم الخاصة في فعل جماعي حتى في مواجهة مقاومة الآخرين الذين يشاركون في الفعل".[3]

(1)- أكوافيكا، سابينو، وباتشي، إنزو، **علم الاجتماع الديني**، ترجمة عز الدين عناية، 2011، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، ص 54

(2)- مذهب مسيحي بروتستانتي يعزى تأسيسه للمصلح الفرنسي جون كالفن، وكان هذا الأخير قد وضع بين عامي 1536م و 1559م مؤلّفه (مبادئ الإيمان المسيحي) والذي يعده الكثيرون من أهم ما كتب في الحركة البروتستانتية.

(3)- Mills, C. Wright, **Images of Man: The Classic Tradition in Sociological Thinking**, George Braziller, Inc., New York, 1960, Pp.18

رابعا: نظرية "ماكس فيبر" حول أثر المعتقدات البروتستنية في التصورات الاقتصادية

تعود البروتستنتية في أصولها إلى الحركة الاصلاحية في أوروبا في القرن السادس عشر، وقد كان هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية، و"تعني كلمة "بروتستانت" الشهادة العلنية ، وهي إسم اطلق على الالمان الذين أعلنوا احتجاجهم على قرارات "دايت أوف شباير" 1529، وهي قرارات كاثوليكية ضد نشاط اللوثريين وقد اطلقت بعد ذلك على كل من انتسب الى الحركة الاصلاحية سواء أتباع "لوثر كنج[1]، Martin Lother King Jr 1929–1968" أو "أولريخ زونجلي[2]، Huldrych or Ulrich Zwingli " أو "جون كالفن[3]،John Calvin ، 1509-1564 "[4]، ومن أهم مقومات البروتستنتية؛ هو أن فكرة الخلاص والغفران تكون بمحبة الله وليس هنالك ما يدعو للقيام بأي عمل تطهيري، وأن لكل إنسان الحق في تفسير النص الديني، وهذه سلطة لا ترجع فقط إلى رجال الدين، وأن الكتاب المقدس هو المصدر الوحيد لمعرفة الدين. كما عارضت سلطة الكهنوت المقدسة، وسمحت للقس بالزواج، وقد نشأ اللاهوت البروتستنتي على يد "مارتن لوثر كنج" وقد كان لهذه الحركة تأثيرها في تغيير تاريخ الدول الاوروبية، ووضع البروتستنت ثقافتهم الخاصة التي شملت مختلف العلوم في التعليم والفنون والاقتصاد والعلوم الانسانية، وهي ثاني أكبر شكل

للديانة المسيحية حيث تضم قرابة 800 مليون، وتتوزع على سبع عائلات هي الأدفنست، والانجليكانية، والمعمدانية، والخمسينية والاصلاح و"اللوثرية، Lutheranism"[5] والميثودية. [1]

([1])- كان زعيمًا أمريكيًا من أصول إفريقية، وناشطًا سياسيًا إنسانيًا، من المطالبين بإنهاء التمييز العنصري ضد السّود في عام 1964 م حصل على جائزة نوبل للسلام، وكان أصغر من يحوز عليها. اغتيل في الرابع من نيسان/أبريل عام 1968، اعتبر مارتن لوثر كنغ من أهم الشخصيات التي ناضلت في سبيل الحرية وحقوق الإنسان.

([2])- كان زعيماً للإصلاح في سويسرة. وُلد في زمن بزوغ الحس الوطني السويسري وتصاعد انتقاد نظام المرتزقة السويسريين. التحق بجامعة ڤيينا وجامعة بازل، التي كانت مركزاً دراسياً للنزعة الإنسانية. وقد واصل دراساته بينما كان يعمل قساً في غلروس ولاحقاً في أينسيدلن حيث تأثر بكتابات إيراسموس.

([3])- كان عالم لاهوت وقس ومصلح فرنسي في جنيف خلال حركة الإصلاح البروتستانتي. وكان من المساهمين الرئيسيين في تطوير المنظومة اللاهوتية المسيحية التي دُعيت فيما بعد بـ «الكالفينية»، والتي تتناول تعاليمها القدر والملكوت المطلق لله في تخليص روح الإنسان من الموت واللعنة الأبدية

([4])- عقيل، انعام بنت محمد، **طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها**، مطابع مؤسسة عكاظ، 2013، ص 54

([5])- اللوثرية فرع من أكبر فروع البروتستانتية التي تنتسب إلى تعاليم مارتن لوثر، الذي بدأ بجهوده لتجديد اللاهوت والنظام الكنسي الإصلاح البروتستانتي.

لاحظ "فيبر" في دراسته "أنَّ الكاثوليك في المصانع يصلحون لأن يكونوا عمالاً ومهنيين وقد كانت مشاركتهم ضعيفة في مجالات الكسب المستند الى تكديس الثروة، وقد ناقش فيبر قضية أنَّ العائلات البروتستانتية قد تركت لأبنائها ثروةً ربما تكون أكثر من تلك التي تركتها العائلات الكاثوليكية، غير أنَّ هذا لا يفسّر الثراء البروتستاني مقابل الحال الوسطي للكاثوليك، فثمة قيمٌ دينية أثرت في كلتا الطائفتين وعملت على صياغة توجهاتهما، إضافةً إلى اختلاف نوع التعليم الذي سيختاره الكاثوليك لأبنائهم تبعاً أيضاً لقيمٍ دينيةٍ موجهة، فالكاثوليك يتوجهون للحرف في حين يتوجه البروتستانت للقيادة والإدارة، فالتربية الأسرية التي تتأثر بالمناخ الديني كان لها الأثر في وجود فروقات بين الكاثوليك والبروتستانت، فالمشاركة الضئيلة جداً من قبل الكاثوليك في المشاريع والصفقات هو أيضاً لأسباب تربوية تتعلق بجانب التنشئة الدينية، وقد حاول "فيبر" أن يضع تحليلاته الدينية بالنقاط الآتية:

- أن الكاثوليكية أكثرُ إنفصالاً عن العالم وتتبع السلوكيات ذات الطابع النسكيّ التعبديّ
- إنَّ هذا الاتجاه لدى الكاثوليك من شأنه أن يعزز ويرسخ في أذهان معتنقيها قيم الزهد واللامبالاة إزاء ثروات العالم.
- تختلف البروتستنية في تطلعاتها للحياة وللحياة المادية عن الكاثوليكية إلى درجة التناقض، وكان ذلك أحد أهم أسباب صعود البروتستانت في مجال المال والأعمال وتصدرهم، فالكاثوليكيّ حسب وصفه:" إنسان أكثر هدوءاً، مسكون بعطش قليل جدا إلى الكسب، ويفضل حياة آمنة مع مدخول ضئيل جدا، وهو ينبع من قاعدة :"إما أن تأكل جيدا أو تنام جيدا، فيختار الكاثويكيّ أن ينام جيدا بهدوء في حين يختار البروتستانتيّ أن يأكل جيداً".[2]

([1])- Dixon, C. Scott . Protestants: A History from Wittenberg to Pennsylvania 1517–1740. John Wiley & Sons. 2010, Pp 43–49.

([2])- فيبر ، ماكس، **الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية** ، ترجمة محمود علي مقلد، مركز الالعاء القومي ، بيروت، 1994، ص 19

- تختلف "الكالفنية" كحركة إصلاحٍ دينيٍّ عن "اللوثرية" وهما من المِللِ البروتستانتية، إذ تتفوق الكالفنية على اللوثرية، في نزوعها نحو تعزيز الإتجاه الرأسمالي وخلق روح الرأسمالية، إذ أنهم أكثر شعوبِ الأرض في الاستفادة من الدين، التجارة، الحرية.
- أن روح الرأسمالية، والتوجه نحو تكديس المال وزيادته، نشأت نتيجة تغير القيم الدينية التي أسست لها حركات الإصلاح الدينيّ، بحيث تعاملت مع المال كمنفعة أقرب إلى العبادة، "فالقضية على صعيد توسع الرأسمالية الحديثة ليست قضية مصدر رأس المال بل نمو روح الرأسمالية، وحيث تكون قادرة بذاتها على خلق الرأسمالية لنفسها رأسمالها الخاص واحتياطها النقدي ووسائلها .[1]
- وقد ذهب "فيبر" إلى أن النظرة العامة للحياة والعمل لدى الطوائف البروتستانتية؛ "الكالفنيون " والمعمدانيون وغيرهم" المستمدة من عقيدتهم الدينية قد أثرت في جعلهم منسجمين مع الرأسمالية ويرى "فيبر" أن من أهم مبادئ الطوائف البروتستنتية الآتي:

1. الالتزام بالمواعيد والانتظام
2. المصداقية
3. حب العمل واتقانه
4. ربط العمل بالعبادة وحب الله
5. الاستخدام السليم للموارد
6. السيطرة على لذات الجسد والنفور منها

ويبدو أن هناك فرقاً واضحاً بين إتجاه "ماركس" الذي ربط التقدم الإقتصادي بالمادية بحيث افترض أن الدين والقيم التي ينطلق منها ويعممها على المجتمع هي أساس الاقتصاد والتغير الاقتصادي، ومقارنة "فيبر" بين كل من الكاثوليكية وبين البروتستانية بربط كل منهما بالمعتقدات الدينية لأتباعمها، وربط ذلك بالتطور الاقتصادي فهو " يفرق بين الزهد البروتستانتي والزهد الكاثوليكي، وينفي وجودَ زهدٍ حقيقيّ، فهو ينكر وجود رهبان تخلوا عن الحياة إلى التأمل، فالزهد

([1])- McClean, Tom; Xidias, Jason; Brett, William, **An Analysis of Max Weber's Politics as a Vocation,** Macat Library, 2017, Pp.78.

ضمن مفهومه هو الزهد بالقدرة على تغيير الواقع واتباع منهج مختلف، ويرى أنَّ الزهد البروتستنتي يتشابه مع الكاثوليكي في جانب من جوانبه وهو اتباع التقشف، غير أن النزعة الروحيّة فيما يتعلق بالزهد، يجب أن تكون على علاقة بما هو موجود وواقعي، فالتقشف لدى البروتستانتية وسيلة للحفاظ على المال.[1]

وذلك يعني أن الحدود المؤسسة للقوة و التحايل و الخداع، توجد في كلّ نسق اجتماعي، ذلك لإنه إن لم توجد مثل تلك الحدود و القيود، فثمة "حرب ضد الكل" واللجوء الى وسائل عنيفة و قوية من قبل الأنا أو الآخر، قد يؤدي إلى صراع ضار ومتصاعد من أجل القوة، لا يمكن إيقافه إلا بفرض ضوابط على كل منهما.

بهذا المعنى، تصبح الافتراضات الاجتماعية العلمية كافة ذاتَ إرتباط قيمي أو ذاتَ نسبيةٍ قيميةٍ، ومن ثم فإنَّ "الواقع" يُعرض ويُقدم بطريقة انتقائية وربما بطريقة متحيزة ومنحرفة.

فهو يرى المجتمع بوصفه ينطوي على جماعات وشرائح متعددة، وأن لكل منها قيمه ومصالحه الخاصة.

إنَّ ما يجري التركيز عليه بكل وضوح هنا، هو الأهداف والمصالح المتصارعة للمشاركة في الفعل، ويعني امتلاك القوة، فالمرءُ يكون قادراً على الصراع وعلى التغلبِ على مقاومة الآخرين، وتتغلغل القوة في العلاقات الاجتماعية كافةً، لكنها تتركز ايضاً في أيدي الدولة، ويورد فيبر مقتبساً عن " ترونسكي[2]، بالروسية: Лев Давидович Троцкий ، 1879–1940": أنَّ "كلّ دولة تتأسس على القوة المادية". ثم يواصل قائلاً : "إنَّ العلاقة بين الدولةِ والعنفِ في عصرنا علاقة حميمية، فالدولة تدَّعي (بنجاح) أنها تحتكر الاستخدام الشرعي للقوة الفيزيقية داخل أرضٍ معينةٍ، والدولةُ هي علاقةُ أنُاسٍ يسيطرون على أنُاسٍ".[3] البعض يأمر والآخرون يطيعون، وهو لا يُرجِع

(1)- Andrew M.McKinnon, **Elective Affinities Of The Protestant Ethic:Weber and the Chemistry of Capitalism,sociological Theory**, vol28,no1, 2020, pp108–126,

(2)- ماركسي بارز وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام 1917 إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي ومؤسس المذهب التروتسكي الشيوعي بصفته إحدى فصائل الشيوعية الذي يدعو إلى الثورة العالمية الدائمة.

(3)- فيبر ، ماكس، **الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية** ، ترجمة محمود علي مقلد، مركز الالعاء القومي ، بيروت، 1994، ص 37.

ذلك فقط الى أنَّ الذين يأمرون يسيطرون على وسائل القوة الفيزيقية، لكن المحكومين قد يقبلون أيضاً ذلك تحت تبرير "الشرعيات الأساسية للسيطرة" و لِنتأمل صياغة "فيبر" الحذرة والدقيقة التي تقول أنَّ الحكام يدَّعون الشرعيةَ، وهي صياغةٌ تعني أنَّ المحكومينَ قد يقبلون هذه الدعوى أو لا، وفي القيادة الدينية نفكر في الكاريزما والمهنة كما هو في السياسة، فالسياسة إحدى اختصاصات المتدين أو القائد.

خامسا: مناقشة وتحليل

لقد أعطى "فيبر" دوراً محدداً للقيم، لكنه دور من شأنه أن يكشف عن الانقسامات الاجتماعية، والسيطرة والقوة والخداع لا أن يخفيها، فالدين كما تناوله "فيبر" أو العقيدة البروتستانية بقيمها التي أضفت مفهوما جديدا لمعنى الربح والخسارة والمنفعة، والتي أثرت في روح الرأسمالية، ما هو إلا وسيلة من وسائل الاقتصاد لتغيير النمط في التعامل بالمال والأعمال.

وبعمومية، فإنَّ اتجاهه المنهجي العام يصلح لأن يطبق على علاقات الصراع والسيطرة بين الدول والمجتمعات، فهو يكشف في تحليلٍ صريحٍ و مباشرٍ، عن الإرتباطِ بين المصالح الرأسمالية وعن صراعية الكاثوليكية مع البروتستانتية، وعن الفروقات بين أتباع العقيدتين، بحيث وضع أتباعَ الكاثوليكية كأشخاص مناسبينَ للأعمال الحرفيةِ التي تتطلب مجهوداً وليس للمواقع العليا، شارحاً هذا بتأثيرِ قيمِ كِلا العقيدتينِ على القيم الخاصة للفرد والجماعة، فمن بين مجموعة من الدول القومية و المتعددة القوميات تجد بعضها وهي القوى العظمى تنسب الى نفسها مصلحة تغتصبها في العمليات السياسية والاقتصادية، عبر دائرةٍ واسعةٍ وقد تتلبس ثوب الأديان ولتشمل مجمل سطح الارض.

يؤمنُ " فيبر" كما يؤمن بعض رواد علم الاجتماع بأن التغيير في المعتقدات يؤدي إلى تغيير في الوجه المادي للمجتمع، وإن كان الوجه اللاماديّ أو الثقافيّ يأخذ وقتا أطول في التحول، إلا أنه يترك أثره على الوجه المادي للمجتمعات.

إن القوى الاقتصادية تلعب الدور الأساس في إطار هذه التغيرات كونها مركز الثقل، فحين سعت بريطانيا الى توسيع دائرة نفوذها، فقد حدث ذلك في جانب منه من خلال المصالح الرأسمالية في التوسع، إلا أن النفوذ السياسيّ والاقتصاديّ لا يأتي دون تبني عقيدةٍ، قد تبدو في وقت سابق دينيةً أو قد لا يستوي إلا أن تكون دينيةً، كما حدث لأوروبا في العصور الوسطى حينما بدأت الحركات المؤسسة للعقيدة البروتستانتية في الظهور.

وهذا ما آمن به " فيبر" وما لم يستطع غيره من العلماء نَقضَهُ وإن قال بعضهم بأن العقيدة لا يمكن أن تكون السبب الوحيد في تغير وجه وقيم الاقتصاد، إلا ما نستطيع تبنيه من وجهات نظر يتلخص في الآتي من الاستنتاجات:

- أنّ "فيبر" في دراسته، "أثرُ العقيدة في التغير الاقتصادي"، كان قد أخضع مجتمعات أوروبا التي شهدت الحركة للدراسة وكانت نتائج دراسته تتفق إلى حد كبير مع ما حدث من تحولات واقعيا.
- أنّ اختلاف كل من اقتصاد الدول او الجماعات الكاثوليكية عن البروتستانتية يمنح "فيبر" مصداقية فيما ذهب إليه.
- أنّ الفترة الزمنية التي شهدت فيها الكنيسة ثورة المعتقدات كانت متزامنة مع شرارة الثورة الصناعية، مما ساعد تلك الحركة على أن تثبت حضورا وتفرض تغيرا يتناسب ومعتقداتها.
- لا يمكننا التأكيد أنَّ العقيدة وحدها تؤثر في الاقتصاد والنزعة نحو الرأسمالية، كما لا يمكن القول أن العقيدة بحد ذاتها لا تتأثر بالجانب الاقتصادي، فلا شك أن حركات البروتستانت كانت قد مرت بمخاض يؤدي الى تبني وجهات نظر مغايرة لما كان متعارف عليه، كي تواكب بوادر التغير الاقتصادي والعلمي آنذاك.
- كما يذهب فيبر إلى أن هنالك تعاطفاً سلمياً قوياً بين الجماعاتِ و بصفة خاصة بين البروليتاريا، لأنه أصبح من الصعوبة بمكان إشباع مطالبهم الاجتماعية في ظل تكدس الإقتصاد ونزعته نحو الرأسمالية، و مع ذلك توضح الخبرة أن هذه المصالح السلمية سرعان ما تفشل بسهولة، في الأعم الأغلب لأنهم أكثر تأثراً بالدعاوي و المناوشاوت الشوفينية من الشرائح الأخرى.

- بالإضافة الى ذلك تخاطر الطبقات الأخرى بملكيتها و قوتها في حالة التفكك المترتبة على الحرب بينما لا تملك الجماهير في حد ذاتها شيئا تفقده، –على الأقل– من حيث تصورها الذاتي في الحالة المتظرفة، سوى حياتها، ويتردد تقييم الخطر وآثاره في عقولهم، لكنه يمكن أن يُختزل الى صفر من خلال التأثير العاطفي.
- ان الوحدة الاساسية للتحليل – عند "فيبر" – هي الجماعة أو التنظيم في علاقتهما بالجماعات و التنظيمات الأخرى المتصلة بها، كعلاقة الكاثوليك والبروتستانت، طبقةٌ مقابل طبقةٍ، طبقةٌ تعي وتتغير وتغير، وطبقة ساكنة لا تواكب معتقداتها روح العصر.
- ان العملية الأساسية التي تجري داخل تلك الوحدات وبينهما وبين غيرها؛ هي صراع الأفراد والتنظيمات من أجل المزيد من تحقيق المصالح المادية والفكرية، وأن تغيير العقائد أو تطويعها لتتناسب والظرف الاقتصادي ولتحدث فيه تغييرا هو أحد الأساليب التي من شأنها أن ترفع من سوية المجتمعات وازدهارها وتقدمها وتساعد على مضاعفة رأس المال.
- تتمثل أسس التنسيق المستقر للأنشطة الانسانية في مجموعات المصالح المترابطة، و بصفة خاصة في جماعات التضامن وسيطرة بعض الجماعات على غيرها. ولعل أبرز صور ذلك التضامن هو تحديد الهوية وتحدي الاتجاه الديني الذي يضفي معتقداته على الوجود الخارجي.
- إنَّ الصراعَ من أجل الإمتياز السياسي هو الذي يفسرُ التغير السياسي، سواء داخل الدولة او بين الدول، ويتسمر التغير السياسي بواسطة صور عدم الإستقرار والازمات الي تعتري مبدأ الشرعية، و تنظيمات السيطرة وتدابيرها، غير أن الفكر السياسي لدى "فيبر"، لم يخل من تدخل تأثره بنظريته في تأثير العقائد الدينية، فإن كانت العقيدة تؤثر في تغيير الاقتصاد وتوزيع الثروة، فإن الاقتصاد أيضا يؤثر في السياسة وفيمن يتولى السلطة، سواء أفراد أو جماعات.

ومع ذلك فان هذا الاتجاه، وإن كان له القدرة على أن يحقق نتائج فكرية مهمة بحقٍّ، فان عليه أن يتجاوز الاعتراف بتعددية جماعية و تنظيمية ذات مصالح متصارعة، وإن ما يميز دراسات فيبر في علم الاجتماع الديني يمكن ذكرها بالآتي:

- الريادية، إذ أنه تقدم على من سبقوه بالدمج بين التدين كظاهرة اجتماعية وبينه كعقيدة توجه أفرادها.
- الربط المنطقي بين العقيدة البروتستانتية كمجموعة قيمٍ ومبادئٍ، وبين روح الرأسمالية بعيداً عن الجدلية التاريخية التي ذكرها "ماركس"، ويعد هذا التحليل الأقرب إلى الفكر الاجتماعي، إذ أنَّ مجموعة القيم والمبادئ والاتجاهات خاصة إن كانت نتاج ثورة وحركة اجتماعية من شأنها أن تسهم في خلق واقع مختلف.
- أنه كان يجري المقارنات المدروسة، بين دول وجماعات للتفريق بين ما انتجته البروتستانتية وما انتجته الكاثوليكية، من حيث الانفتاح والتطور وجمع رأس المال.
- نزع "فيبر" عن الدين هالته، التي تمنع العلماء من دراسته بافتراضه ظاهرة اجتماعية، ويمكن القول بأنه قام بعقلنة الدين.
- تناول فيبر بالتحليل المبادئ التي قامت عليها الحركات البروتستانتية، وربطها ربطا مباشرا بما تحقق للبروتستنت من تغير في الأحوال الاقتصادية على أرض الواقع، وتناول بالتحليل الاسباب التي دعت الى نشوء الحركات التي أسست للبروتستنتية كعقيدة.

خلاصة مكثفة:

يمكن القول أن"فيبر" في هذا الجانب تفرد واختلف عن بقية علماء الاجتماع، كونه لم يتبع المادية البحتة، كما لم يتخذ منحى روحيا في تحليله لأثر الدين في المجتمع، فكان الأكثر عقلانية، خاصة وأنه درس الظاهرة بعد وجودها، وعمل على تحليلها وربطها بالأسباب، فلم يكن من ضمن علماء الاجتماع الذين بالغوا في تركيزهم على انسجام الأنساق الاجتماعية التي تؤدي الى التوازن والاستقرار المجتمعي، بمعنى آخر لم يكن خيالياً أو مثالياً أقرب الى الفلسفة في هذا الجانب، كما لم يكن ماديا ينكر وجود الأديان أو قوة تأثيرها في تشكيل المجتمعات وتنظيم الحياة الاقتصادية وصبغها بطابع ما، ما بين التقشف وما بين الرأسمالية، وهنا يمكن القول أنه كان الأكثر حياديةً، وإن كنا لا نلغي صفة الانحياز النسبي لكل عالم تجاه نظرته ونظرياته، فكانت دراسته البروتستانتية وروح الرأسمالية من أكثر الدراسات عقلانية في محاولة تفسير الواقع الاجتماعي بناءاً على العقيدة العامة الاجتماعية.

المراجع بالعربية

1- شلحت، يوسف، **نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني**، دار الفارابي، بيروت، 2003.

2- سيجموند فرويد، **الطوطم والتاتو**،ترجمة بو علي يسين، ط 1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، 1983.

3- دروكهايم، إميل، **الاشكال الأولية للحياة الدينية : المنظومة الطوطمية في أستراليا**، تر: رندة بعث، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسة، 2019.

4- أم الخير، شتاتحة، الظاهرة الدينية بين المقاربات الكلاسيكية والمعاصرة، دراسة إجتماعية، مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، العدد الخامس، 2017.

5- أكوافيكا، سابينو، وباتشي، إنزو، **علم الاجتماع الديني**، ترجمة عز الدين عناية، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث، 2011.

6- عقيل، انعام بنت محمد، **طوائف الكنيسة البروتستانتية وعقائدها**، مطابع مؤسسة عكاظ، 2013.

7- فيبر ، ماكس، **الأخلاق البروتستنتية وروح الرأسمالية** ، ترجمة محمود علي مقلد، مركز الالعاء القومي ، بيروت، 1994.

المراجع بالانجليزية:

8- Morreall, John; Sonn, Tamara, "**Myth 1: All Societies Have Religions**". **50 Great Myths of Religion**. Wiley-Blackwell. 2014.

9- Lin, Tom C. W. "**A Behavioral Framework for Securities Risk**". Seattle University Law Review, 2012.

10- Dixon, C. Scott . Protestants: **A History from Wittenberg to Pennsylvania 1517–1740**. John Wiley & Sons. 2010.

11- Marshall, Thomas William. **Notes of the Episcopal Polity of the Holy Catholic Church**. London: Levey, Rossen and Franklin. 1844.

12- Mills, C. Wright, **Images of Man: The Classic Tradition in Sociological Thinking**, George Braziller, Inc., New York, 1960 .

13- McClean, Tom; Xidias, Jason; Brett, William, **An Analysis of Max Weber's Politics as a Vocation,** Macat Library, 2017.

14- Andrew M.McKinnon, **Elective Affinities Of The Protestant Ethic:Weber and the Chemistry of Capitalism,sociological Theory**, vol28,no1, 2020

15- Carbonnier, Gilles, **Religion and Development: Reconsidering Secularism as the Norm**, international development policy, 2013